

# السياسة الأميركية وسردية الديمقراطية العربية

مع حرب أهلية في سوريا، وسيطرة داعش على ثلث الأراضي العراقية، وحرب داخلية / إقليمية في اليمن، وحروب ميليشيات وقبائل في ليبيا، وتراجع عن مبادئ وشعارات «يناير 2011» في مصر، يبدو مبرراً الاعتقاد بأنّ المنطقة تعيش مرحلة ما بعد الربيع العربي، وأنّ سردية «الديمقراطية ونهاية الطغيان» المتفائلة، التي سادت مع احتجاجات 2010–2011 ، قد تركت مكانها لصراعات عنيفة وإرهاب وفوضى، وعودة تدريجية لفكرة «الاستقرار»، وأولوية «الامن» على حساب فكرة التغيير. على الأقلّ هذا ما تصوره القادة العرب الذين بقوا من مرحلة ما قبل الربيع العربي وهم ينعون «ما يسمى بالربيع العربي» في قمتهم الأخيرة.

لكن أميركيا، يمكن تلمس تحول السرديات هذا بشكل أكثر تعقيداً. في ظل جدل سياسي وايدولوجي لم ينته بعد عن أولويات الولايات المتحدة في المنطقة والعالم، ثمة إشارات مهمة إلى أنّه بقدر تعلق الأمر بالسياستين الأميركية والأوروبية في العالم العربي، فإنّ مرحلة ما بعد الربيع العربي قد بدأت منذ بعض الوقت.

#### أموال الديمقراطية

في مقالة نشرتها «واشنطن بوست» في كانون الأول/ ديسمبر 2014، لاحظ توماس غارونيرز، نائب رئيس الدراسات في «وقف كارينفي للسلام الدولي»، أن الميزانية المخصصة لدعم الديمقراطية تراجعت بنسبة 28 في المئة في ظل إدارة أوباما، وأنّ التخفيض كان حاداً في ميزانية «وكالة التنمية الدولية»، المسؤولة عن تمويل نشاطات «دعم الديمقراطية وحقوق الإنسان والحوكمة»، حيث خسرت 38 في المئة من تمويلها منذ العام 2009. وبلغت حصة التخفيض في ميزانية «دعم الديمقراطية» المخصصة للشرق الأوسط 72 في المئة من التخفيض الكلي، بشكل يعكس تراجعاً ذا دلالة عن نهج «دعم الديمقراطية» في المنطقة، خصوصاً أنّ التراجع حصل في الفترة ذاتها التي شهدت «انتفاضات الربيع العربي»، والملاحظ أنّ مجموع ما خصّص لدعم الديمقراطية وحقوق الإنسان والحوكمة في الميزانية الأميركية لعام 2014 لم يتجاوز 860 مليون دولار، أي أقل من المبلغ الذي خصصه الملياردير جورج سوروس لدعم هكذا نشاطات.

في المقابل، تشير التقارير إلى أنّ التخصيصات المالية لمكافحة الإرهاب التي تمثل جزءاً من ميزانية المخابرات والامن الوطني بلغت 17.25 مليار دولار في 2012 و 16.6 مليار دولار في 2013 . وتوحى هذه الأرقام أنّ هناك غلبة للفهم الأمني على معالجة قضية الإرهاب، وهي غلبة مرتبطة بحقيقة أنّ الولايات المتحدة، وبوصفها القوة العظمى الوحيدة، تميل إلى التصرف كقوة محافظة هدفها منع وجرّ الأخطار التي تواجه مصالحها والنظام العالمي للقوة، ولذلك فهي تعطى الأولوية لـ «امن» النظام لا للعوامل التي قد تدفع إلى تغيير النظام ومعدلات توزيع القوة فيه.

لكن من المهم هنا محاولة فهم الجدل الأميركي الداخلي، بجانبه الفكري والسياسي، من أجل استيعاب الجوانب المختلفة للقضية. يقول تافين بابات، أستاذ العلوم السياسية في جامعة كارولينا الشمالية، في الرد على من يجادل بأنّ الولايات المتحدة يجب ان تواجه «الإرهاب العالمي» بدعم الديمقراطية، أنّ الأدلة العملية تشير إلى أنّ الديمقراطية تزيد في الحقيقة من العنف السياسي، مما يطرح السؤال: «لماذا على صانعي السياسة في الولايات المتحدة أن يدعموا التحول الديموقراطي إذا كان

هذا الخيار ينطوي على المخاطر؟».

في مواجهة هذا التصور، جادل كثيرون في الوسطين الأكاديمي والسياسي، وتحديداً منذ هجمات 11 أيلول/سبتمبر، بأنّ التحول الديموقراطي يؤدي إلى دحر الإرهاب على المدى البعيد. ففي كتاب عن الاقتصاد السياسي للإرهاب، صدر في العام 2006، ذكر كل من أندريز وساندليز بأنّ الأنظمة الديموقراطية الناضجة والقائمة على التمثيل النسبي، أقرت على الحد من «الإرهاب»، لأنّ الأنظمة السلطوية التي دعمتها الولايات المتحدة لمواجهة الجماعات الاسلامية المتطرفة ليس لديها حافز لإنهاء الإرهاب نظراً أنّ ذلك سيفقدھا العددين المالي والعسكري الغربي. وقد تبنت وزيرة الخارجية السابقة ومرشحة الرئاسة الأميركية، هيلاري كلينتون، وجهة النظر هذه حين صرحت بأنّ «المصدر الرئيسي لعدم الاستقرار في الشرق الأوسط ليس مطالب التغيير، بل مقاومة التغيير».

يجري هذا الجدل بين «الواقعيين» الذين يعتقدون أنّ الولايات المتحدة يجب أن تركز في توجيه مواردها، المحدودة اليوم، نحو أهداف

# 15 | 1

«قانون الخدمة المدنية» الجديد يعيد تنظيم الوظيفة العامة في مصر. هناك معضلة في هذا القطاع العائل، فهل القانون يعالجها؟ نمان. وحول القرار بإعدام الشاب علي النمر في السعودية.

## 2

مشروع «اليوم العائلة» للمتحف الفلسطيني يستكشف صوراً نادرة من الجليل. هنا قصة أول سكرتير للحزب الشيوعي الفلسطيني. واليمن يغير تساوّلات وجودية: بين الوحش والإنسان.

## 3

سوريون يستعيرون وطناً: رواية الرحيل عن سوريا. وفي «حلم» و«بالف كلمة» ملاحظات تؤرّخ لسيرة الشعب الفلسطيني منذ ستينيات القرن الماضي، ومعركة قبولها في برنامج «ذاكرة العالم» التابع لاونيسكو.

## 4



كريم ريسان - العراق

واضحة ومحددة، ولأّ تنغمس في قضايا التحول الديموقراطي وبناء الأمة في بلدان أخرى، وبين من يعتقد أنّ لا وجود لحل عسكري لآزمات المنطقة ما لم يكن مرفقاً بتحول عميق في أنماط الحكم والإدارة يقوم على الديمقراطية واللامركزية. وقد حاول الرئيس أوباما تبني مقاربة تجمع بين الواقفين، لكنّ ثمة ما يكفي من الأسباب للاعتقاد بأنّ الرويّة الأمنية تميل في العادة إلى فرض نفسها، نظراً لأنّها الأسهل ولأنّها تغذّي شبكات مصالحه راسخة، ولأنّ «دمقرطة العالم» ليست أولوية لدى الناخب الأميركي اليوم، كما أشار استطلاع أجره «مجلس شيكاغو للشؤون العالمية» عام 2012، حيث اعتبر 14 في المئة فقط من الأميركيين أنّ دعم الديمقراطية في بلدانّ أخرى هو أمر مهم جدّاً.

#### أي ديموقراطية؟

ما زال الجدل الأميركي حول قضية الديمقراطية ونشرها، وهو إلى حد كبير جدل أيديولوجي، يعكس وإن على نحو أكثر تعقيداً،

الاختلاف بين التيار الفكري الذي مثّله جون آدمز، ثاني رئيس أميركي، حين قال مرة إنّ أميركا هي «صانعة حريتها» وحدها، وهو موقف عنى ضمناً أنّها غير معنية بحرية الآخرين، وبين التيار الذي عكسه توماس جيفرسون الذي قال إنّ أميركا هي «إمبراطورية حربية أخذت بالتوسع». وجمّعت فكرة «الاستثناء الأميركي» القائلة بأنّ لدى الولايات المتحدة مسؤولية عالمية لنشر قيمها بوصفها «قيما كونية»، طريقة التفكير لدى النخب الأميركية، وأصبحت هذه الفكرة جزءاً من إحساس الولايات المتحدة بهويتها كما يقول «نيكولاس بوكيت» الذي درس مسألة دعم الديمقراطية في السياسة الأميركية. يضيف بوكيت انه نادراً ما كان هناك رئيس أميركي انحرف عن سردية الاستثناء الأميركي، وعن كون الديمقراطية والحرية مثلاً كونية يجب أن تدعمها الولايات المتحدة، لكن تحويل تلك الأفكار إلى رؤية استراتيجية ومن ثم ترجمتها إلى سياسة عملية كانا على الدوام شيئاً آخر. فالديموقراطية لم تكن من الناحية العملية أولوية

ليست هذه قضية مفاضلة بسيطة بين «الصلحة» و «المثّل» كما يتصور البعض. فمعظم دراسات العلاقات الدولية الحديثة تخلت عن هذه الثنائية منذ بعض الوقت، وصارت تعتبر الهويات والأفكار والمؤسسات.. إلى جانب المصالح الجردة، عوامل تتفاعل مع بعضها

في تحديد تفضيلات الدول. وبهذا المعنى، ليس صحيحاً الجزم بأنّ السياسة الأميركية تريد أنظمة سلطوية في منطقتنا، بل الصحيح أنّها ستميل على الأرجح إلى تفضيل نظام ديموقراطي ينسجم معها على نظام سلطوي ينسجم معها، فأولويتها في الحالتين هي أن يكون النظام «منسجماً معها».

بهذا المعنى، فإنّ التعريف الأميركي لـ «الدمقرطة» نادراً ما انفصل عن مصالحة الولايات المتحدة وتعريفها لدورها العالمي والإقليمي، أي أنّ الديمقراطية فهمت بوصفها عملية لتأكيد التفوق والزعامة الأميركيين وليس نقضهما. لذلك تظل تلك الديمقراطية مشروطة مثلاً بأن تكون ليبرالية ومبنية على الاقتصاد الحر، ولأّ تتحدى بني القوة الإنسانية في النظام العالمي، لكي تكون بالنتيجة نوع الديمقراطية المدعومة أميركياً. وبالتالي، فإنّ تراجع سردية الديمقراطية في منطقتنا ليس تخلياً عن الفكرة بذاتها، بل نتاج لإدراك أنّ شروط ديمقطة من هذا النوع لم تتوافر بعد.

#### ما بعد «البوشية»

يمكن القول إنّ الولايات المتحدة دخلت مع أوباما مرحلة ما بعد «البوشية»، باعتبار سياسة الرئيس الأميركي السابق جورج بوش كانت تمثّل التعبير الأقصى عن صعود سردية الديمقراطية (والنصوّر الذي ساد منذ نهاية الحرب الباردة) بأنّ الولايات المتحدة تستطيع نشر نموذجها للديموقراطية بعد انهيار منافسها الإيديولوجي، الاتحاد السوفياتي، الذي كان يعتمد تعريفاً مختلفاً بشكل جذري للنظام المثمل للحكم. كان لحرب العراق وتكلفتها العالية أثر كبير في التمهيد لحيء رئيس يعلن بأنّ الولايات المتحدة يجب ألاّ تنهك في عمليات بناء الأمة في الخارج وتركزّ على بناء الأمة في الداخل، ويقول إنه يفكر «بالاستثناء الأميركي بوصفه شيئاً مشابهاً لاعتقاد البريطانيين بوجود استثناء بريطاني، واعتقاد اليونانيين بوجود استثناء يوناني». قطعاً، لم تراجع أوباما عن فكرة الاستثناء الأميركي، لكنّه حاول أن يمنحها أبعاداً تتناسب وأولويات سياسته التي ابتدأت بوعد الانسحاب من العراق.

ظلت إدارة أوباما ملتزمة بالدعم الخطابي لفكرة الديمقراطية، إلاّ أنّها عملياً تشعر بأنّ العالم هو مكان غير مستقر بما يكفي، وعليها تجنب الدفع بعنصر عدم استقرار اضافي تمثله ديمقطة غير محسوبة النتائج. إنّ معظم التحولات التي تشهدها منطقتنا والعالم تشكل تحدياً للأنظمة السلطوية التي تقاوم التغيير، لكنها أيضاً تحدى الفهم الإيديولوجي السائد أميركياً عن الديمقراطية بوصفها أساساً مشروعاً لإنتاج نخب سياسية وثقافية واقتصادية تتطابق مصالحها وينسجم سلوكها مع نموذج نيوليبرالي للحكم وإدارة الاقتصاد. هذا النموذج، وكما يجادل الفيلسوف السلوفيني سلافيك جيچيك، يواجه نتائجها الكارثية مع أزمت عالية عميقة متداخلة، كتغير المناخ والجفاف والهجرة وعدم الاستقرار وتنامي الإرهاب وتضاعف اليأس من قدرة النموذج المهيمن على مواجهة المشاكل القائمة.

لذلك ثمة ما يكفي من الأسباب للاعتقاد بأنّ تراجع سردية الديمقراطية في منطقتنا، مصدره الحاجة إلى طريقة تفكير جديدة بمعنى الديموقراطية، غير تلك التي فضلتها السياسة الأميركية وتبنتها النخب التي تصورت أنّ الديموقراطية مجرد تغيير فوقي وليست إعادة بناء كلية للمجتمع السياسي.

#### حارث حسن

باحث من العراق

# عيد حدائي!

رن العاتف الذكي مذكرا بالوعد. حينها دخل عيد الأضحى ذهن الرجل، قبل الذبح بعشرين ساعة. هكذا تضمن التكنولوجيا أن يبقى مال الرجل خاليا لاستخدام الانتباه لمسائل ذات عائد نقدي. فور سماع الرنين، ذهب الرجل إلى بيتي إلى سوبرماركت في ذلك اليوم، من ألبانر البضاء، حي ميجل لا يشبه الأحياء الشعبية التي غرّتها الكباش والماعز والبقر... حي مغربي له اسم أميركي. هنا توجد مواقف كافية للسيارات والأرض مبلطة جيدا ولا مكان للحفر والغبار والتبن والفحم، ولا مكان لرائحة عرق الفقراء.. مكان نظيف جدا، وفيه حصل مرشح حزب العدالة والتنمية الإسلامي على ثمانين صوتا بينما حصل خصمه «الليبرالي» على المرتبة الثانية بخمسة عشر صوتا.

اشترى الرجل أكبر كيش بالكيلوغرام. الأرقام لا تترك شيئا للمصدفة. صور الكيش بكاميرا هاتفه مع التركيز على القرنين الأملحين. هذا وصف تقريبي يسمعه الرجل في التلفزيون وليس في المسجد. فورا أخبر الزوجة بأنه اشترى كيش العيد بكفاءة عالية. من دون تبذير في الوقت من الحصول على أكبر كمية من اللحم مقابل أربعة وخمسين دولارا. هاته الزوجة على الإنجاز. أي عدم تضيق الوقت في التنقل بين الأسواق بحثا عن الأرخص. الوقت أهم من النقود.

تسال البنتان الرجل: هل لمس الكيش؟ فيفتي ذلك بل ويسخر من الذين يسعون بذيل الكيش لمعرفة نسبة الشحم فيه. وتشرح الرجل للبنتين أن الميزان معيار عقلائي فكل معرفة قيمة الكيش دون لمسه أو حمله. هكذا لم تنتقل رائحة الروث إلى يديه وإلى الصالون.. هكذا يتم استخدام التكنولوجيا لنقل المعرفة ولحل المشاكل. لا يلقى أن تكون في ثياب الحدائي رائحة رعاة الغنم والماعز.. صباح العيد ون العاتف. جاء صاحب سيارة نقل البضائع بالكيش والجزاز معا. في سطح العمارة المقسم بالسناوي بين السكان، تم الذبح والسلخ بسرعة، والتخلص فورا من بطانة الكيش ومدعته ورأسه وأمعائه.

دفع الرجل لصاحب السيارة وللجزاز بسخاء لأنهم تابوا عنه بوضع أيديهم في القذارة. بقي اللحم والكبد فقط ولم يلمس الرجل الحدائي كيشه بعد. في الأحياء الشعبية يلمخون أيديهم بالمدم ويأكلون تلك الفضلات. هنا، في الحي الغربي ذي الاسم الأميركي، تغير العيد، صار خفيفا ظريفا بالنسبة لأصحاب الذوق الرفيع.. صحيح أن الرجل الحدائي يعيش عيده في غربة عن الكتلة الاجتماعية ذات الأغلبية العددية، لكن حتى الذين يلعنون هذه الغربة يتمتعون امتلاك الموارد لعيشها. الحدائة مكلفة.

صباح العيد، تمت صلة الرحم تكنولوجيا. يشعر الرحم ببرودة الاتصال وسرعته. انتهى تبادل الزيارات وتقديم قطع كبد للجزيران. انتهى زمن لا بد أن يذوق فيه الجزيران من خراف بعضهم. العيد يعني الأسرة الصغيرة فقط والفرد مهتم برفاهيتها إلى أقصى حد، وبعدها قد يفكر في العائلة الكبيرة. الآن الله للجميع والخروف لنا. وقد سحق للبنتين يقطع هيرة من فخذ الكيش لشيعها. في هذا الحي يسمح للأطفال بقطع اللحم من الكيش يوم العيد بينما في الأحياء الشعبية لا بد من انتظار أربع وعشرين ساعة على الأقل وربما اثنتين وسبعين ساعة في البوادي لحين الانتهاء من الفضلات...

تم تحضير الشواء بسرعة على الشواية الكهربية لا على الفحم الأسود. عندما كان الرجل يضع الهيرة كان الملك محمد السادس يذبح كيشه على التلفزيون.. نادرون من كانوا يذبحون قبل الحسن الثاني ويفعلون ذلك سرا، لكن الآن انتهت إجبارية تماثل وتطابق الدولة والشعب. يشاهد الرجل موت مئات الحجاج في تدافع المؤمنين. من نجوا من سجدوا الرافة قتلتم جمرات الشيطان. لا يفكر الرجل في الحج ويفضل زيارة باريس. تغيرت النظرة إلى ما يجري. جرى القطع مع القبول التقليدية مثل القبيلة والأسرة والجزيران، واستبدالها بالأصدقاء والزبائن.. حتى يوم العيد يقوم الرجل ببعض المعامل التجارية على هاتفه. الحدائي لا يضيع وقته، حتى يوم العيد. والحدائة نمط تفكير. فاكتمساب الثروة لا وقت له والنقود تجعل الحياة أفضل واسهل.

يتحقق هذا لأن الرجل أجبر بدخل عال، وهو مثل باقي سكان الحي لا يواجه مشاكل مادية إلا في الكماليات النوعية. تبتد لديه حماس العيد وصار الذبح عبئا وتضييعا للوقت.

يُعرف هايدغر الحدائة بأنها طرفة في تأويل العالم. في

تأويل الرجل لممارساته يعتبر بأنه قد احتفظ بالتقاليد الأساسية للعيد وهي الكيش والشواء، ولو الكهربي.

الكهرياء غالبية صخ. لكن الفحم الرخيص قدر. المال هو عصب النظافة التامة. العيد الحدائي هو عيد برجوازي مكلف الحدائة مكلفة.

جري الشّي والأكل في البلكونة الواسعة. هكذا تضمن الزوجة نظافة الصالون الشاملة والأبدية. وفيه سيجري اللقاء مع الأنياه والشبيعات. هنا تستقبل صديقاتها بناء على موعد مسبق محدد، وهي حريصة على القطع مع الأصول الفلاحية للعائلة.

في بداية الزواج، يأتي الأقارب من ذوي الأصول الفلاحية في أي وقت إلى البيت. لدى الفلاحين فائض من الزمن. الكرم لا يعني أن يأتي شخص في أي وقت ويجلس الوقت الذي يريد. يصعب أن تشرح لفلح من العائلة فوائد الانضباط بالزمن في الزيارة بموعد. سيفضب وينسحب. والغضب سلوك عاطفي لا عقلاني ولا حدائي.

عادة بعد الغذاء الخفيف سيخرج أفراد الأسرة الحدائية لفضاء الأسمية في السينما والكورنيش.. لكن في لحظات الوحدة ينتاب الزوجة حنين لتقاليد حياة الحقول، لذلك ستزور أمها في الحي الشعبي بينما يأخذ الرجل بنتيه للسينما. لكن الأم تخطط لإعادة توجيه بنتها بعد سن السادسة عشرة لتتناسبا مع الذهنية الحدائية على مستوى الشكل وتخصعان لقواعد الجمع ليسهل تزويجها. يقال إن البنت التي يرببها أبوها كصديقة له لا تصلح زوجة لأنها لم تتعود الفقع. الأم معنية بزواج بنتيها وليس بنظريات جان جاك روسو.

في بعض الأحياء ذبح السكان أكباشهم في الشارع حفاظا على نظافة منازلهم.. لذا فإن على جوانب الطريق تشكل مزابيل صغيرة متناثرة من التبن والفحم والقرون قبل أن تعجم شاحنات النظافة على المدينة لتخليصها من زبالتها.

#### محمد بنعزير

كاتب وسينمائي من الغرب

## حربٌ عاليةٌ؟

الحس السليم بخصوص الأزمة السورية كان وحده يكفي، ومنذ اللحظة الأولى، وبعض النظر عن الآراء والميول السياسية والتفضيلات الشخصية، للإقرار بأمرين: لا يوجد حل عسكري لها، ولا يوجد حلّ من دون مشاركة روسيا وإيران. فمن يعرف أسس النظام القائم في دمشق يدرك أنه من نوع «إلى نهاية المطاف» ومهما كانت الأكلاف، ثم أنّ في البلد انقساماً أهلياً وسياسياً فعلياً، غير قابل للتجاهل إلا بتسييد منطق الغلبة والإخضاع. وإن وفق معادلة أو حجة «سطوة الأغلبية هذه المرة»، الذي يدافع عنها أصحابها وكأنها صنو الديموقراطية (البيست هذه «حكم الأغلبية»!)، متناسين أنه في الديموقراطية - على علاتها - فالأغلبية متشكّلة من أفراد مواطنين لا من كتل مذهبية أو عرقيّة. والأغلبية هنا تصبِح مجرد تهديد بإسالة دماء أقلية أو أقليات، ستقاتل لألف سبب، منه الربع من الثّارات إن لم يكن اللداع عن الامتيازات. وفي ذلك كله عنوان وحيد: الحرب الأهلية. وهذه خراب ووبال، هنا وفي كل مكان.

#### نحلة الشهال

من يلمّ بالجغرافيا يدرك أنّ إيران ابنة المنطقة، و«شرعية» امتلاكها لخيارات بخصوصها تتفوّق بكثير على شرعيّات دول الغرب، دانيتها وقاصيها. وأن

## قانون الخدمة المدنية في مصر

# إحياء صراع الحقوق والواجبات

من دون التخوف من مغية إطلاق أحكام عامة على شرائح وفئات واسعة ومتنوعة من المجتمع، يمكن التحدث عن انحيار شديد في مستوى الخدمة التي يقدمها الجهاز الإداري في الدولة للمواطنين، حتى بات الزهد في طلب الخدمات الحكومية - لمن استطاع - أهون من اللجوء إليها وتحصيلها بالعتاء. وزد على الإنشغال في وقت السدوام بأعمال شتّى لا صلة لها بالوظيفة، التسديد خلف كل موظف «مزوّع» بأنه «موجود لكن بيصلي، في دورة المياه، كان لسبّه هنا...». والحقيقة - غالباً - أنه موجود بالفعل لكنه وقع الحضور ثم انصرف للمقهي القريب من العمل أو للسوق أو غير ذلك، بعد التاكيد على الأزماء بشرفة العودة حال التفتيش المفاجئ أو العمل الملح: «على تلفيقات!» لذلك تمثل سحنة العميل وخدمته تعظيلاً لما عزم الموظف على استغلال وقت العمل لإنجازه، قد يصيب الأمر حد التأفف من توالي العلاء وقد يصل لتمعد تعطيل بعض الخدمات.

معضلة «على أد فلوسهم»

يُأصل بعض الموظفين لتلك الحالة من اللامبالاة، بأن ميعنها هو تدني الأجور بما لا يُشبع الحاجات الأساسية لهم، ويُدفعهم لإدخار بعض طاقتهم لعمل آخر في فترة ثانية من اليوم. ذلك لا ينفي ما يردّ به آخرون منهم أيضاً («أنه طالما قبلت الوظيفة فليكن الوفاء بمتطلباتها، وإلا فاتركها لغيرك»).

ولكن الخطير في ذلك هو «تحويل» شكل الاحتجاج للمعارضين منهم، من الأشكال المقبولة كالإضراب مثلاً، إلى فكرة التطبيع مع الامبالاة كرد فعل انتقامي هادئ لا يدفع منه إلا مواطن آخر - بالتاكيد - يمنحه عمله نصيباً وافيًا من العناء.

يقدر عدد العاملين المدنيين في الدولة بحوالي 6.36 مليون موظف، يتوزعون على العديد من القطاعات (التعليم والصحة والدفاع والحماية الاجتماعية والإسكان وغيرها). ولكن الإحصاءات تشير إلى أن ما يزيد نسبيته عن 46 في المئة منهم معيّنون في محافظة القاهرة وحدها. وهذا سوء توزيع صارخ، ينبئ بوجود عجز في العديد من المحافظات، إضافة لوجود عجز أيضاً في أعداد العاملين ببعض القطاعات مثل الصحة والتعليم، بحسب ما ورد في تقرير المبادرة المصرية عن «إصلاح الجهاز الإداري للدولة». ربما لذلك وأكثر، فإن إصلاح الجهاز الإداري للدولة هو الأساس مطلب جماهيري قبل أن يكون سعيًا حكومياً تدعمه السلطة، لذلك لجأت الدولة مؤخراً لإنشاء قانون 47 لسنة 1978 («العاملين المدنيين بالدولة») واستبداله بالقانون 18 لسنة 2015 الذي أطلقت عليه اسم قانون «الخدمة المدنية».

لكن.. مباشرة نظم الموظفون وقاتت احتجاجية علت خلالها أصواتهم

تعارض القانون الجديد وتعلن المخاوف

وتذكر بالمخازير، وقد ساندتهم وتبنى مطالبهم كثير من رموز القوى المدنية، فيما اكتتفت السلطة بالقول أنها

قد تُضمن بعض مقترحات المعارضة في اللائحة التنفيذية للقانون، أما

نصوصه فلا مجال لإعادة النظر فيها!

ثقافة الموظف

«إن فاتك الميري تمرغ في ترابه»، مقولة تلخص ثقافة تقدير العمل الحكومي وتفضيله على غيره، والإنسياب وراء ذلك عديدة، أهمها «استقرار الدخل وإن كان قليلاً، انخفاض ساعات العمل، تساوي الرئيس مع مرؤوسيه (فكلهم موظفون في الحكومة)، كثرة الإجازات، صعوبة تسريح العاملين أو فصلهم نهائياً مهما أساءوا والعمل... لذلك دأب الموظف الحكومي على استغلال تلك

المزايا لمتنها وبات يستجدي منها عوضاً عن ضعف أجره، بل برع في

تصيّد ثغرات القانون وانتزاع كل ما

قد يحمل في طياته ميزة ولو جزئية في مساره الوظيفي، فكان تعدد الإجازات

بين العارضة والرضية والاعتدائية، بخلاف الأذونات وزيارات التأمين

الصحي، وهي استخدمت كوسائل

لتحويل العن المختلفة في مصر لساحة تصفيات، كلّ يستغل نفوذه في لمبئه. وعلى الرغم من أن قضية الأجور تعتبر حجر عثرة عتيدا في وجه الإصلاح، إلا أن القانون الجديد فاقم الأزمنة بتقليص الزيادات في الأجور حتى صارت الزيادة السنوية بمعدل خمسة في المئة فقط من الأجر الوظيفي، ما لا يصل إلى خمسين جنبها عند بعض الدرجات الوظيفية. بل فُعل كذلك فكرة المساس بالحوافز بمقتضى مستوى الأداء في العمل، وهو على الرغم مما يبدو وجيهاً للوهلة الأولى، إلا أن الحقيقة أن الراتب الذي يتحصل عليه الموظف مشتتلاً على الحوافز، بل يصل للحد الأدنى الذي نودى به، أي 100 جنيه مصري للدرجة السادسة مثلاً، لذلك فإن الحصول على الحوافز لا يعد مكافأة قدر ما يمثل خصمها عقاباً.

ربما تساق بعض البررات للتسكين، على شاكلة أن البلد يمر بفترة عصيبة وأن ميزانية الدولة لا تكفي لتلبية طموحات الموظفين.. لكن ما تتوالى به الأخبار (بغض النظر عن مبلغ صوابها أو البلاغات فيها) حول ضخامة رواتب بعض الفئات مثل الشرطة والجيش والقضاء وغيرها.. مقابل ثقافة الفتات الذي يتقاسمه الموظفون. يُعقّد المسألة ويجعلهم يميلون لتشخيص القضية على أنها سوء توزيع وغياب للعدالة الاجتماعية، وهو ما كشفته هتافاتهم: «هما ياكلوا حمام وفراخ.. واحنا الجوع دوخنا وداخ». كذلك حمل شعارهم: «اوعى تزايد عالوطنية.. العمال أصحاب قضية»، رداً على

ذاك الخطاب «الوطني» الذي يُساق لإسكات أي معارضة.

عوار التقييم: لقطة عابرة

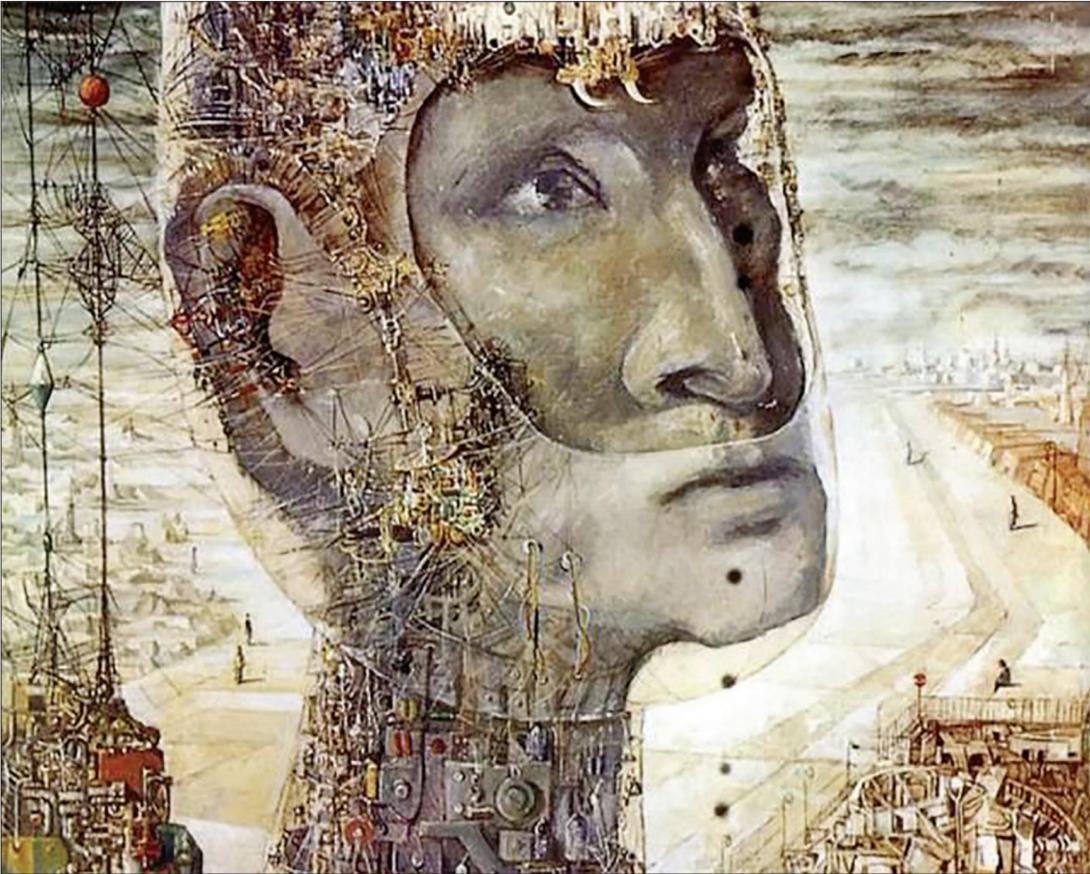
التقييم فعلاً هو أحد أهم بنود الإصلاح التي يُوصى بأخذها في الاعتبار، حال الاتجاه نحو الإصلاح الإداري. لذلك ما ورد بالمادة 55 من أن كل موظف «يُخرج على مقتضى الواجب في أعمال وظيفته، أو يظهر بظهور من شأنه الإخلال بكرامة الوظيفة يجازى تأديبياً»؟!

يزيد الأمر سوءاً أنه إذا تظلم الموظف من تقديره على تقرير الأداء، فإن عدم الرد عليه - حسب القانون الجديد - يعد رفضاً نهائياً للتظلم. لا يمكن فهم عدم الرد على أنه رفض للتظلم بقدر كونه باعفاً على الشك في أن التظلم لم يُنظر من الأساس، خاصة في ظل إدحام المكاتب وكثرة الأوراق وترهل النظام، ويعزّز ذلك ما بات عادة في معظم الجهات الحكومية، برفض التوقيع للعمل باستلام أصل مستند تم استلامه بالفعل، خشية إسقاط المسؤولية على الجهة الحكومية حال تاهت الورقة القديمة وسط أكوام الأوراق التي يجلسون بينها!

لا شك أن قانون الخدمة المدنية الجديد ما زال بحاجة إلى مزيد من القراءة والمراجعة والاشتباك المجتمعي، للوقوف على نقاط القوة والضعف، لكن الحاجة للإصلاح تبقى ضرورة ملحة، سواء كانت لجهة تحسين حالة الأجور للموظفين أم لإعادة ضبط قواعد تسيير العمل لتحقيق الصالح العام.

بسمة فؤاد

باحثة من مصر



عبد الهادي الجزائر - مصر

# الرئيس حين يحسب أنه «لن يقدر عليه أحد»

خشية «تسييسها»، وهو ما يشي بشدة بتأثير دعاية السلطة ضد الاحتجاجات على قوة إرادة تلك النقابات.

تهديد الولاة للدولة

إلّا أنّ هذه الصعمة حول 30 يونيو وسواها من مظاهر الولاء التاريخي لموظفي الدولة، لا بد أنها باقية على نحو ما في نفوس هذا القطاع الضخم، لا لأنّ حقهم في التظاهر مصادر، بل لأنّ مصدر ولائهم الأول والأخير أصبح مهددا بشدة للمرة الأولى بسبب قانون الخدمة المدنية. يتضمن القانون نصوصا تهدم الأمان الوظيفي للعنادر في الوظائف الحكومية، من قبيل تلك التي سمحت بإمكانية إنهاء خدمة العين خلال الستة أشهر الأولى من التعيين، من دون النص على آلية للتظلم أو الاعتراض على القرار، وحق لجنة الموارد البشرية في رفض تظلمات الموظفين على تقاريرها عن أداءهم - وهي التقارير التي قد تنهي مستقبلهم الوظيفي- من دون إبداء أسباب بل ومن دون رد، مع مصادرة حق الموظفين في اللجوء للقضاء الإداري، والتوسع في صلاحيات السلطة المختصة، سواء في حفظ التحقيق أو توقيع الجزاءات، ومنح السلطة المختصة حق رفض طلب الموظف في الحصول على مقابل لنلت إجازته أجراً، بعد مضي ثلاث سنوات.

وعلاوة على ذلك، يتضمن القانون نصوصاً تشترط في من يعين في وظيفة حكومية أن يكون «محمود السيرة، حسن السمعة»، من دون ذكر ضوابط حسن السمعة هذه ولا الجهة المختصة بتحديد ذلك، وهو ما قد يبدو بوابة لتدخل الأجهزة الأمنية في التعيين، كما يتضمن

القانون تشجيعاً للموظفين على المعاش المبكر (إمكانية قبول طلب الوظيف بالإحالة إلى التقاعد بدءاً من سن الخمسين، أي قبل عشر سنوات من الحد العتاد، وتفاصيل أخرى الخ..).

ويقلص القانون بشدة من معدل الزيادة السنوية في أجور العاملين في الدولة، قياساً على القانون السابق للعاملين في الدولة، وهو أحد أهم مقاصد قانون الخدمة المدنية هذا، وكان البيان المالي لوازنة العام المالي 2014/2015 قد نصّ ربما للمرة الأولى على نية التصدي لتضخم الإنفاق على الأجور، كما أن تعدد الضوابط والقواعد والإجراءات والاختيارات التي أحالها القانون لللائحة التنفيذية، يزيد من تحكم السلطة التنفيذية فيه القانون وفي تبديل مقاصد مواده، من قبيل كيفية اختيار لجنة الموارد البشرية التي يمكنها إزّال عقوبات شديدة التأثير على مستقبل العاملين، وتحديد إجراءات وقواعد إنهاء الخدمة. في كتابه «النظام القوي والدولة الضعيفة» قدم سامر سليمان، أستاذ الاقتصاد الراحل الشهير، تحليلاً لكيفية بناء الولاة التاريخي لقطاع كبير من السكان لدولة نموز/ يوليو/ في إشارة للنظام الذي تشكل في الأساس على أكتاف نخبة عسكرية في أعقاب 23 يوليو/ تموز 1952: «أهم الثوابت التي قاومت الزمن خلال حكم الرؤساء الثلاثة (جمال عبد الناصر وأنور السادات وحسنّي مبارك) كانت الدولة الرعوية.. المقصود بالدولة الرعوية هنا هي تلك الدولة التي تتحكم في موارد كثيرة تستطيع بواسطتها أن توزع الكثير من العطايا على بعض القطاعات النشطة من السكان». وأضاف: «العطايا تبدأ من الدعم السلمي وتمر بالرعاية الصحية وتصل للتوظيف المباشر في جهاز الدولة الذي يمكن

40 في المئة من الأطفال خارج المدارس في 9 دول من بينها سوريا والعراق واليمن وليبيا والسودان، وقد طال التدمير 9 آلاف مدرسة في هذه الدول، كما جاء في تقرير ليونيسيف بعنوان «التعليم في خط النار».

## المتاح في الملكة

ماذا تستطيع أن تفعل في السعودية؟ يمكنك أن تغرق مدينة باكلمها، تستلم مشروعاً لتنظيم مدني وبني تحثية من دون أن تغضب منه شيئاً. يمكنك أن تقتل، أن تذهب إلى سوريا والعراق وتحمل لواء «الخلافة الإسلامية» وتمضي. يمكنك أن ترمي جثث الفتيات على قارعة الطريق. يمكنك أن تترك أحدهم يتعفن من دون أن تنتشله.. حتى أنه يمكنك أن تحقن جسداً طربياً بإيدز.. يمكنك أن تفعل ما تشاء من فضائح أخلاقية، أو أخطاء طبية، أو فساد.. أي شيء يمكنك أن تفعله في ربوع الملكة وتخرج من القضية من دون أي حرج.

في غضون أسبوع واحد، عاشت الملكة أكثر من قصة، فمتلاً انتشرت أحداثٌ عن فضيحة أخلاقية لسكرتيرها الأول ماجد حسن العاشور في السفارة السعودية في الهند، سحبت الملكة الرجل ورفضت رفع الحصانة عنه وتسليمه للقضاء الهندي، العاشور متهم بتعذيب خادمتين من النيبال واتغصباها واحتجازهما لأشهر عديدة في مسكنه في نيودلهي. وهي التهم التي رفضتها السعودية وأدانتها واعتبرت أنها «كاذبة تماماً» و «مخالفة للحقائق».

المعم أن الرجل السعودي نجا بموجب حصانته الدبلوماسية التي ترفع عنه الملاحقة الجنائية والاعتقال والدعوى القضائية بحسب «اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية»، وربما نراه غداً في مواقع أخرى من دون أن نتبين حقيقة ما إذا كان الرجل مجرماً أم لا.

وفي الأسبوع نفسه، أطلق سعودي آخر النار على مقيم متدرباً بأن الأخير تحرّش بزوجته، ووفق التحقيقات، فإن الإلحاح المستمر من القيم على معرفة طبيعة العلاقة بين السعودي والمرأة التي كانت برهقته في منزله في جازان دفع المواطن السعودي إلى استخدام سلاحه الشخصي وإطلاق النار على التحرش وإصابته بركبته. انتهت القضية بالتصديق على أقوال المواطن وإدانة المقيم بتهمة التحرش.

حتى الرغفة التي سقطت على رؤوس الحجيج وطحنت اللحم والعظام، لم تدفع الحكومة إلى إصدار الإعدام بحق المهملين. كل ما فعلوه هو إيقاف أعمال الشركة وحجز موظفيها (منعهم من السفر) وصرّف التعويضات للمصابين وأهل الضحايا.

تغفر السعودية أي شيء، قد تغفر قتل والد لابنته، وتغفر الأمر في خانة الإسراف في التأديب، قد تغفر سحل زوج لزوجته وتقول إن هذه هي القوامية. قد تغفر للإرهابيين العائدين من حربهم في بلاد الخلافة، لكنها لن تغفر أبداً لعلي النمر رمي المولوتوف على دوريات أمنية.

علي الذي ما زال مسجوناً منذ العام 2012 يوم كان عمره دون الثامنة عشرة صدر بحقه حكم الإعدام تعديراً (أي قطع الرأس مع تعليق الجسد ليكون عبرة لن اعتبر). وعلي النمر هو ابن شقيق الشيخ نمر النمر الذي قاد موجة الاحتجاجات التي تصاعدت في العوامية العام 2012، وادت إلى اندلاع مواجهات بين السلطة والمتظاهرين، والشيخ نمر متهم بمخالفة ولي الأمر والتحرش بخطاباته على نظام الدولة.

وكانت عائلة علي النمر قد تلقت خبر رفض الطعن بحكم الإعدام الصادر بحقه، ولا يتم الإعلان عن الوقت الذي سيتم فيه تنفيذ الحكم، وإذا ما تم، فإن علي النمر يكون أول سجين سياسي قاصر يتم إعدامه منذ عقود.

انشغلت الصحف السعودية بتقرير الحكم الصادر، فوضعوا للشاب لائحة تخبرنا لماذا علينا ألا نأسف عليه ونرى القصاص منه أمراً عادلاً. فالشباب متهم بالمشاركة بخلية إرهابية (والإرهاب في السعودية لا يملك تعريفاً واضحاً فقد تفجّر جسدك في جموع أربياء وتكون شهيداً ينظرهم مثلاً)، إعطاء دروس بالإسعافات الأولية، اقتحام صيدلية، التسترت على مطلوب أمني، تضليل قوى الأمن (لنكتشف لاحقاً في نهاية اللائحة أن علي النمر تستر على مطلوب أمني أصيب خلال المواجهات مع الشرطة وقدم له الإسعافات الأولى).

لكن يبقى السؤال: هل يستحق تأليب مجموعة على «بلاك بيري» والدعوة منها إلى المظاهرات، هل تستحق إنزال عقوبة الإعدام؟

لا أحد يعرف كيف يتوصل القضاء السعودي إلى هذه الأحكام، وما هو مقياس البراءة والاتهام. لا أحد يعرف ما هي الجرائم التي يعاقب عليها القانون، وكيف تتحول تهمة إنشاء موقع لحقوق الإنسان إلى جريمة تستحق الجلد، وكيف ينجو رجل ضرب زوجته حتى أدخلها العناية المركزة من أي حكم، ويقتصر عقابه على حفظ بعض الأحاديث النبوية.

نورة بنت عفش

باحثة اجتماعية من السعودية

بيسان كساب

كاتبة صحافية من مصر، متخصصة بالإقتصاد

21 مليون طفل يطولهم خطر التسرب من المدارس في الوطن العربي، بينهم 15 مليوناً تسربوا فعلاً، فيما 6 ملايين مهددون بذلك.

## مشروع «ألبوم العائلة»

# المتحف الفلسطيني يستكشف صوراً نادرة من الجليل



لقطة تجمع عددا من رفاق وأصدقاء إبراهيم شمشوم عقب بناء منزله - عرابية البطوف، الجليل، 1965. من ألبوم إبراهيم شمشوم. © المتحف الفلسطيني

«أنا عربي مسيحي شيعوي. عربي لأن أصلي عربي، مسيحي لأن أبوي وجدودي مسيحيون، وشيعوي لأنني اخترت هذا الطريق» يبدأ إبراهيم شمشوم، ابن بلدة عرابية (البطوف) في الجليل، عائداً بذاكرته إلى أكثر من 60 عاماً، حيث بدأت ولادة الحزب الشيوعي، شمشوم هو أول سكرتير للحزب الشيوعي الفلسطيني، يروي تاريخ البلدة ونضالات الحزب للمتحف الفلسطيني ضمن مشروع «ألبوم العائلة»، الذي يستكشف الكنوز الفوتوغرافية التي يحتفظ بها الفلسطينيون في بيوتهم، ويوثق صورة بصرية جماعية لجزء من التاريخ والحياة والثقافة والمجتمع الفلسطيني من خلال إجراء مقابلات مع أصحاب هذه الصور، ومن ثم رقمنتها وحفظ نسخ عنها ضمن أرشيف خاص.

### أرض الظلم

«بدأت العمل في سن الخامسة عشرة بسبب فقر عائلتي، فتوجهت إلى الناصرة، وتحديداً إلى المسكوبية، وبدأت العمل في مقهى. كان صاحب المقهى مثقفاً، يقرأ يوماً جريدتي الدفاع وفلسطين». يعلق شمشوم: «ما كنت رح أصير مثقف لولا صاحب القهوة»، مضيفاً «تعلمت منه الكثير وأثر ذلك على شخصيتي وتفكيري، ومنه عرفت عبد القادر الحسيني». عام 1948، بدأت المدن الفلسطينية بالسقوط الواحدة تلو الأخرى على يد القوات الصهيونية، فسقطت طبريا ثم حيفا، يقول شمشوم: «خاف أبي علي وطلب مني العودة إلى عرابية، فتركت العمل وعدت إلى البلد مشياً على الأقدام وقد علا صوت الانفجارات...» «وصلت إلى البلد وكان صوت الرصاص يشتد يوماً بعد يوم، وفي يوم وفاة عبد القادر الحسيني، أطلق الفلسطينيون الرصاص في الهواء لخسارتنا هذا البطل، فوقعت رصاصة داخل «اللجن» الذي كنت أعتزل فيه».

لم يكن شمشوم يعي، حاله كباقي الفلسطينيين، ما كان يجري من أحداث متتالية، وبسقوط عرابية «فهم»: «في تاريخ 29-10-1948 احتلوا عرابية، وفي هذه الليلة لم أتم، وقررت أن أنجز لشعبي الذي تحول معظمه إلى لاجئين ومظلومين». مبيئاً أن أهالي عرابية الذين صمدوا ولم يخرجوا من قريتهم خذهم جيش الإنقاذ، وهو الجيش العربي الذي شكّل عام 1947 للدفاع عن فلسطين، ولم يقدم لهم الدعم الكافي. «الآتي أرض الظلم وأقبل العدل اخترت الحزب الشيوعي الفلسطيني» يقول شمشوم، ويضيف: «في

وكان هدفنا الدفاع عنهم، فكان العمل الأول للحزب هو الدفاع عن عمال الزيتون في البلد، حيث كان ملك الأرض يستغلون العمال ويعطوهم أجوراً أقل من المستحق، فقمنا بمنع العمال من التوجه إلى الأراضي وأضربنا مدة 15 يوماً، حتى رضخ لنا ملك الأرض وتفاوضوا معنا. ومنذ ذلك الوقت يتم تحديد أجرة العامل قبل الذهاب إلى العمل». وأضاف: «العمل الثاني بعد إضراب الزيتون كان إلغاء ضريبة الرأس، التي قامت دائرة المعارف عن طريق الحاكم العسكري بفرضها، وهي مبلغ من المال على كل من يحمل هوية، فأعلن الحزب الإضراب»، لتخرج في تاريخ 11-3-1954، لأول مرة في عرابية، تظاهرة شارك فيها معظم أهالي البلدة احتجاجاً على ضريبة الرأس. ويوضح أن الأهالي انتخبوه ومحمد شاكر خطيب وكايد خليل وسليم كناعنة لمقابلة الحاكم العسكري لنقل الاحتجاجات له، ويعلق: «ما لبث البوليس أن اعتقلنا وحجزنا في مركز مجد الكروم في توفيق إداري لمدة 34 يوماً، ومن هنا اكتسبنا ثقة الناس لأنهم أدركوا أن الحزب الشيوعي هدفه الأساسي الدفاع عن الناس». شعبية الحزب كانت تزداد يوماً بعد يوم، يستطرد شمشوم، «خاصة أن الخطب التي كان يلقيها إميل حبيبي وتوفيق الطوبى في اجتماعات الحزب كان لها أثر واضح وكان الأطفال عند بلوغهم السن القانونية لانتخاب صوتون للحزب». ويقول: «انطلاقة يوم الأرض كانت من عرابية، وأولئك الشباب والأطفال هم الذين خرجوا ضد الظلم، لأن صوت عرابية وأهلها كان دائماً عالي».

### لو عاد الزمن فسأبقى شيعوي

ما زلت أذكر كلمات أبي وهو يوبخني قائلًا: «يا ابن المحروق، والله ليذبحوك والذبان الأزرق ما يستعدي عليك». وأتذكر موقف أمي عندما اعتقلني البوليس بسبب نشاطي في الحزب، عندما زحفت على يديها وزجليها من كنيسة البلد بالقرب من منزل آل كناعنة وحتى حارة الحلو، لاعتقادها بأنني مت، وعلى الرغم من كل ذلك، لو عاد الزمن بي فسأختار الحزب والشبيبة الشيوعية مجدداً، وسأبقى شيعوياً أداغ عن الناس ضد الظلم.

### جنان أسامة السلواي

باحثة في المتحف الفلسطيني - رام الله

## بين الوحش والإنسان

«خاطلة»: أبيدت أسر بكابيلها وقتل نحو 100 شخص في قصف طيران التحالف لسكن مهندسي محطة كهرباء المخا في محافظة تعز. والقائمة تطول: 7 من أفراد أسرة عبد المجيد الفضلي (الأم والأبناء والحفيدة) قتلهم بوحشية غارة على حي النهضة بمدينة صنعاء، وأصفر الضحايا طفلة في الثانية من عمرها (هويدا). على المستوى العربي: كم رجل دين مسلماً جنّ وفارت نائزته بسبب مشهد ضرب شرطة إحدى الدول الأوروبية، كالجزر مثلاً، للاجئين على حدودهم، بينما ضميره في إجازة، والإقتليات تُشرد وتذبح على يد داعش، والمعارضون والصحافيين يُرمون في سجون ومعتقلات الأنظمة العربية؟ وهل يمكن مقارنة معاملة أسوأ الدول الأوروبية بمعاملة المشتغلين الفلبينيات في دول الخليج مثلاً؟ رواية ساق البامبو لكويتي سعود السنوسي حبيب، كيف يسي أحداً كويتياً إذاً ويصبح سلايلاً في الوقت نفسه؟

كيف يؤمن بغاندي ويترحم على أدولف هتلر؟ كيف يتخلّى عن إنسانيته لمصلحة الوحش المسيطر داخله؟

نزّلت من التاكسي وليس برأسى أوجه.

محمد العبسي

كاتب صحافي من اليمن

السوري إيلان مرمية على ساحل بحر إيجة، (وما أكثرهم في اليمن والعالم العربي ككل)، من دون أن تستغفر مشاعره ويؤثر فيه موت مئات الأطفال منذ اندلاع الحرب في اليمن ولو بدرجة أقل وثيرة حزن أخفض؟ إيلان وأسرته حاولوا النجاة على الأقل، قرروا النزوح مدركين المخاطر فكانوا ضحية جملة من العوامل المعقدة: الحرب، فرار العرب، الطبيعة وهيجان البحر، المخاطرة...

بالمقابل: كم من أطفال اليمن، أو بلد آخر كسوريا أو العراق، ماتوا وهم في منازلهم، فلا ركبوا البحر، ولا خاطروا، ولا طمحووا في حياة أفضل من التي لديهم، مؤثرين السلامة على المخاطرة، وحجيم البقاء في «الوطن» على «تعميم» اللجوء؟

اليس الإنسان هو الإنسان؟ لماذا تستثار المشاعر هناك وتقعع هنا؟ كم واحداً منا كان إنساناً في تلقيه لحادثة غرق الطفل إيلان فيما لم يضطرب وجدانه عندما قتلت قذائف الحوثيين والقوات الموالية لصالح 16 طفلاً في يوم واحد بمدينة تعز أو في عدن، وعلى «الضفة الأخرى»، كان إنساناً في تلقيه لحادثة غرق الطفل إيلان، فيما لم يشعر بالتعاطف والحزن لقتل سناء البدوي طالبة الصف التاسع إثر قصف طيران التحالف منزلها في جولة الرويشان بصنعاء؟

بل وبأ ليته توقفت عند ذلك: البعض أترّم نفسه مهمة تنظيف القذارة وتبرير وإنكار كل جريمة أو غارة

غسيل السيارات للذكور، والخدمة في المنازل للإناث! لكن الأثر لا يقتصر على أو على شريحة واسعة من اليمنيين، بقدر ما هي لونة غير مرمية في المجتمعات العربية ودول العالم الثالث، بل وحيث لم يتنصر للإنسان والحريات العامة والخاصة، يتعايش المرء مع التناقضات من دون أن يشعر بها، فيمتدح تعامل وترحيب ألمانيا باللاجئين، وهو ذاته يؤيد من تنسب في تشريد وتهجير الآلاف في بلده من أبناء جلده؟ ويذم سلوك رجال الشرطة الذين انهالوا بالضرب على لاجئين على حدود بعض الدول الأوروبية بينما تقوم الميليشيات في بلده، بأبناء جلده، بما هو أبعث وأشنع.

على نحو أعمق، يمكننا أن نتساءل أيضاً: كيف يستطيع شخص طائفي ومذهبي متعصب، في بلده وحياته وطريقة تفكيره، أن يكون إنساناً أكثر تبادلاً وتسامحاً وأقل عصبوية، ولو لأيام أو ساعات أو لحظات إشراق عابرة، عند تلقيه وتفاعله مع قضايا وقعت في مكان ما من العالم، كأزمة اللجوء إلى أوروبا، كما حدث مؤخراً وبدا جلياً على صفحات التواصل الاجتماعي؟ بمعنى كيف لشخص تعاطف مع نازحين سوريين ومقدونيين ماتوا اختناقاً داخل حافلة نمساوية، على نحو إنساني لمجرد كونه لا يعرفهم، وليسوا من أقاربه، ولا قبيلته، ولا مذهبه، وربما ليسوا من ديانته، بينما هو في بلده لا يتعاطف، ولا يتحسس إلا لضحية من مذهبه أو جماعته؟ كيف لشخص يكي بحرقه وتفجّع عند رؤية جثة الطفل

صنعاء وصعدة وعمران، ويناهض، بأعلى صوته، ترويع الأطفال وتعريض حياة المدنيين للخطر... وفي الوقت نفسه تجده مؤيداً، أو صامتاً في أحسن الأحوال، على القصف والقذائف اليومية التي تمطرها المدفعية الحوثية على سكان مدينة تعز. والعكس: في كل مرة تقتل طائرات «تحالف عاصفة الحزم» مدنيين في صنعاء أو في ذمار أو أي من المدن اليمنية، ينهري أنصار العاصفة للدفاع والتبرير، بل والتشفي في بعض الحالات، على الرغم من سقوط عشرات الضحايا من الأطفال والنساء.

شרכת الحرب، بشقيها الداخلي والخارجي، اليمنيين، وقسمتهم إلى معسكرين، وباتت مواقفهم تجاه الأحداث والانتهاكات اليومية تتحدد، لا بناء على معايير قيمية أو أخلاقية، بل بحسب هوية الجاني وانتماء الضحية، مع أو ضد بصريح العبارة.

أبعد من ذلك أخذت أتساءل: لماذا شعرت، كيمي، بالتعاطف مع اللاجئين السوريين إلى أوروبا، وبكيت بحرقه لدى رؤية مشاهد مؤلمة ومهينة تعرضوا لها في بعض الدول الأوروبية، بينما لم أشعر بالتعاطف ذاته على اللاجئين الصوماليين الذين يهانون في اليمن، وتستخدمهم عصابات التهريب في الجريمة، وتحترجهم في معسكرات تذيب كشفت عنها قبل عام منظمة «هيومن رايتس ووتش»؟ حتى حاملو أرقى الشهادات الجامعية منهم ليس أمامهم أي فرصة للبيش الكريم، والوظيفة الوحيدة المتاحة للصومالي في اليمن هي

كان أحد الإعلاميين اليمنيين يصرخ، بانفعال متصنّع، أثناء مداخلة في أحد البرامج اليومية في إذاعة تابعة لجامعة الحوثيين، مديناً صمت الدول العربية تجاه ما تعرض له اليمن وفلسطين؛ البرنامج كان مكرساً للحديث حول الاعتداء الإسرائيلي على المسجد الأقصى، ولم أتنبه له إلا في اللحظة التي امتدت يد السائق لإطفاء المذياع بشيء من الحق ونفاذ الصبر.

التفت نحوي وقال «إسرائيل قصفت المسجد الأقصى، طيب، كم مسجداً فجره هم أو قصفوه».

لم أكن في مزاج جيد لخوض محادثة مع سائق التاكسي، وصحيح أن قذائف الحوثيين والقوات الموالية للرئيس السابق قصفت، عن عمد أو من دون قصد، العديد من المساجد والمستشفيات آخرها مسجد السيد في مدينة تعز، لكن سوء مزاجي لم يكن السبب الوحيد لعدم خوضي أي محادثة معه، واكتفائي بمن رأسي، يقدر ما يتعلق الأمر بأزواجية المعايير، والتناقض الريبية لدى اليمنيين والعرب على الجمل. إذ بات شائناً اعتيادياً يومياً أن تجد شخصاً ما (في الحافلة، أو القليل، أو وسائل الإعلام التواصلية) يريد أن يجرك بالقوة إلى صفه وجماعته، ضمن الاستقطابات الجاهلية التي أوجعتها على نحو مربع الحرب في اليمن، على أساس طائفي أو مناطقي أو عسبوي أو مذهبي.

لم يعد مفاجئاً ولا صادماً في اليمن أن تجد أستاذاً جامعياً وحقوقياً مرموقاً يدين القصف السعودي لأهداف في

## تسييس كل شيء

وقع زلزال كبير في البلد، وقتل على إثره مئات الأشخاص، واحتارت السلطات. في البداية قررت تجاهل الاتهامات بالإهمال، وعدم الاستعداد لمثل هذه الكوارث الطبيعية. وفي المؤتمر الصحافي المعقد بمناسبة الكارثة الطبيعية، عزى المتحدث باسم السلطات أهالي الضحايا وقال إن السلطات مثالة مثل أهالي الضحايا بالضبط. ساد التأثير المؤتمر الصحافي. ساد وسيطر حتى كاد المتحدث الرسمي يكي، لولا أن صحافياً وقف وسأل المتحدث عن استعدادات السلطات لمواجهة هذا الحادث، وقال إنه صحيح لا يمكن منع كارثة طبيعية كهذه، ولكن على الأقل كان من الممكن التقليل من أثارها والاستعداد لها. ارتعشت نبرة المتحدث الرسمي للسلطات، وهو يقول للصحافي إنه يحاول تسييس كل شيء. وقالها بحدة وغضب لدرجة أن الجميع غضبوا من نبرة صوته، وانفض المؤتمر الصحافي.

ولكن عندما عاد المتحدث الرسمي إلى بيته، بدأ يفكر في كلام الصحافي، وبشكل ما بدا له أن الحق معه. كان المتحدث الرسمي أستاذاً بكلية «سياسة واقتصاد»، وعليه فقد كان يعرف أن السياسة حاضرة في كل الأشياء، وأنه ليس هناك كارثة طبيعية مئة في المئة. يمكن



## سوريون يستعيرون وطناً

تعجن شاشات التلفزة كل يوم وصفة متقنة من طحين الثياب. يبصر السوريون من خلالها ذبول ذويمهم وهم يحاذون سلك القطار في صربيا والمجر. كمثل يمشون، يلحقون بهالة الشمس الوالطة أول النهار، يجرون وراءهم ظلمهم الخفيف، ويكون بعيداً عن الكاميرات المصوبة نحو عيونهم المالحة، يعبرون مقدونيا بخفة، تتلثمهم خطاهم في هغرايا أو على الحدود المجرية - النمساوية، يفتشون تراباً رطباً، يتبللون من عصيدة الغيم والبرد، ويستكنون عن الوجع. يصلون دفعات بشرية متقنة العدد، مسكونة بمذاق رحيق الوطن الأوروبي المستتر عن حواسهم، ينتظرون بقلق على حافة الحدود البرية التركية - اليونانية، علماً تنفتح، فلا تنفتح ولا هم يعبرون. لا ينامون في الليل الموصد، ولا يغنون، شباب ونساء وأطفال ذابلون، طواعهم الحظ وخرجوا من بطن الوطن المتصلب الذي يعاند تلويح الحياة بغير لون العدم، في الداخل، تنمو الوسواس للحاق بهم، إلى وطن جديد، يتصوره السوريون مجبولاً من لحم ودم وعاطفة، تظهر النوايا رحيب، يطهوها الانجذاب إلى برية الحياة خارج اصقاع سوريا المكتنبة، المتوعدة منذ سنوات، والمتركة لفعل دمارٍ لا يشجع.

## للجوء من الخارج

الألة العسكرية التي هجرت نصف السوريين، ودكت مدناً بكاملها، لم تعد تقدم بمفردها مسوغات اللجوء الخارجي. مئات اللاجئين السوريين من حلب وادلب وحماه الذين يعيشون في تركيا منذ سنوات، تحركوا مؤخراً من اسطنبول في حملة رفعت شعار «عابرون لا أكثر»، قاصدين الحدود البرية مع اليونان، متجنبيين لطمات الحظ العائر الذي قد يلاقيهم إن قصدوها من البحر، متفادين أيضاً إنفاق ما بين 1500 إلى 2000 دولار كعمولة يتقاضاها المهربون لقاء استئجار حيز ضئيل في زورق مطاوي، يصيرون معه طعماً للبحر، أو لارتجال رصاص خفر السواحل اليوناني. وكان أوروبا تستهرب إلى غير كوكب، وينبغي للحاق بها قبل فرارها، وكان حمى اللجوء أصابت السوريين جميعهم، اضطلعت في عقولهم، لم تعد تميز بينهم، سواء كانوا في الداخل أم في الخارج.

اللاجئون السوريون في لبنان ومنذ أن وصلوا إليه، يبدؤون، يرتبون مخططات تقودهم إلى القارة العجوز، يكدحون في أعمال موسمية شاقة، يقتصدون منها كل شهر بعضاً من كلفة اللجوء، يجيئون إليه عائلات متعبة، أو على هيئة أفراد تاركين ما تبقى من أهلهم منسويين إلى مناسك الحياة الواهية... أغلبهم من ريف

دمشق المنكوب بأفة البارود، أو من ريف حمص المُلغس من احتمالات الحياة الآمنة، بعضهم يأتي من المناطق الشرقية أو الشمالية الشرقية، مغادراً بلاد «دولة الخلافة الإسلامية» وهي تقطع الرؤوس، وتغلق المدارس، وتمنع التدخين في الشوارع. أوروبا تعني لهم المستقبل، يقبلونها هكذا. «يوتوبيا» بتكلفة انتقال مقبولة، يديرون ظهورهم إلى الحدود التي جاؤوا منها بلا ندم، سوريا تصير ماضياً لا يذودن تذكره.

## مكاتب لترتيب الرحيل

تنتمي الأصقاع التي يسيطر عليها النظام إلى مساحات حلم اللجوء أيضاً، مثل غيرها من المناطق المدمرة. إذ لم تسلم العاصمة دمشق من مرثية الرحيل، فالأحياء العشوائية التي تغطيها غالبية مسيحية مثل «الدويلعة» و «الطباية» تشهد أكثر من غيرها على نوايا الرحيل وعلى ترتيباته، كما تنفخس مدينة مثل «جرمانا» ذات الغالبية الدرزية في مستنقع فكرة الرحيل عينه. لا مناص من الاحتماء بنصائح المكاتب العديدة التي تحول عملها من تسهيل الإيفاد الدراسي نحو الجامعات الأوروبية، إلى توفير تأمين حجيج السوريين الراغبين بالطواف حول دول «شيفنغ» الأوروبي، وعلى وجه التحديد حول قبلتهم الأكثر قداسة، ألمانيا. فتراهم يشتررون خدمات المكاتب التي ترتب لهم إقامات وهمية في فنادق لبنانية، يتمكنون بموجبها من دخول القطر الشقيق، ثم تحجز لهم على متن رحلات بحرية تقودهم من لبنان إلى تركيا، أو تؤمن لهم حجوزات على رحلات جوية مضمونة تصل من دمشق إلى اسطنبول، بعض تلك المكاتب تمتد وساطته فتصل إلى حدود المهربين المعتمدين في تركيا، وبعضهم الآخر يعلن عن انتهاء خدماته بمجرد تأمين وصول الراغب في اللجوء إلى الأراضي التركية، تفضل تلك المكاتب إرسال زبائنهم في مجموعات بشرية، تتحجج بأن الكلفة تصير أقل في هذه الحالة، لكنها تكون قد تقاضت عمولة أكبر من تلقاء تأمينها لتلك الحجوزات الجماعية.

## تذكرة إلى أوروبا

تبدأ كلفة اللجوء اعتباراً من ثلاثة آلاف دولار للشخص الواحد، يكفي في هذه الحالة بيع السيارة الشخصية لتأمين المبلغ المطلوب. وإن كانت عائلة متوسطة الحجم من خمسة أشخاص ترغب في اللجوء، فيبع المنزل يفي بالغرض هنا. ترتب مصادرات البيع تلك في أماكن يسيطر عليها النظام السوري، لكنه وفي شهر آب / أغسطس من العام الحالي، أوعز رسمياً إلى دوائر

المصالح العقارية بربط عمليات البيع والشراء ونقل الملكية بموافقة أمنية دون أن تحدد طبيعة هذه الموافقة، ولا اسم الجهة الأمنية الواجب مراجعتها. قسم من السوريين الذين لا يوازرون الموت مشهد حياتهم اليومي، يريدون الانفكاك من جاذبية تشدهم إلى قاع حياة رديئة لا تتقن سوى التقنين كفعل محسوس، يحملون بواقف جديد هائل، يرزبن لهم عقلمهم مستقبلاً أفضل إن بلغوا عتبات دول الاتحاد الأوروبي، يصح تسميتهم هنا بالهاجرين، حتى وإن دونتهم المنظمات الدولية على أنهم لاجئون في سجلاتها الرسمية، لكن القسم الأكبر من السوريين ممن هم لاجئون بالفعل، تدون أسماءهم مخيمات دول الجوار، وتحفظهم في جيوب خيامها الرثة منذ سنوات، وهم يريدون صحو حياة المخيم من سيرة يومياتهم، وهم بذلك محفون، بعدما محا القصف بيوتهم وأعمالهم في سوريا، ولعلم يستحقون نعمة اللجوء إلى الوطن الأوروبي الجديد أكثر من سواهم. وحدهم الفقراء يبقون يعيشون في الداخل كمتلازمة عضوية لا فكاك منها، يشيخون بوجوههم من كلفة الانتقال إلى أوروبا السعيدة، وهم أيضاً يشكلون السواد الأعظم من لحم مخيمات الجوار.

## اللاجئون في أرقام المفوضية

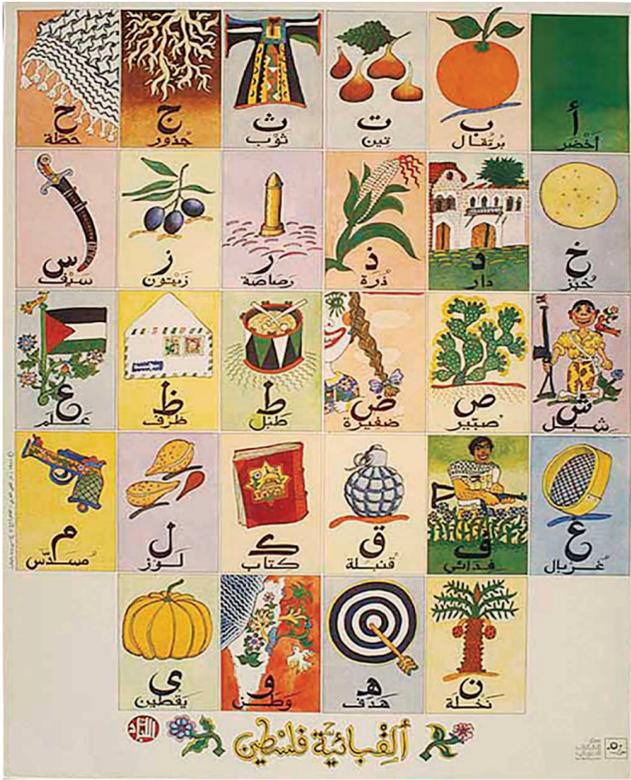
السوريون اللاجئون يظهرون في أرقام حديثة رشحت من بيان صدر عن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة في شهر تموز / يوليو من هذا العام، تلك الأرقام تتوقع وصول عدد اللاجئين السوريين في دول الجوار السوري إلى نحو 4.27 مليون لاجئ مع نهاية العام الحالي، وتفضح عن إيواء ألف سوري قد طلبوا اللجوء في أوروبا. أرقام المفوضية توضح كيف أن نصف اللاجئين السوريين في لبنان والبالغ عددهم 1.173 مليون يعيشون في أماكن إيواء تقتفر للحد الأدنى من متطلبات العيش، وأن أكثر من 85 في المئة من اللاجئين السوريين في الأردن، والبالغ عددهم 630 ألف لاجئ، يعيشون تحت خط الفقر البالغ 3.2 دولار في اليوم الواحد. فيما تركيا تستقبل العدد الأكبر من اللاجئين، ويبلغ تعدادهم فيها نحو 1.8 مليون لاجئ، ويتوزع 7.6 مليون نازح سوري في أنحاء البلاد، لم يجدوا ما يبيعونه للفرار خارج شوك الحدود، فبقيت سوريا وطنهم البديل، يهاجرون بين اصقاعها.. وهذا ما يقدرون عليه فقط.

## أيمن الشوفي

صحافي من سوريا

## حلم..

## الأبجدية الفلسطينية



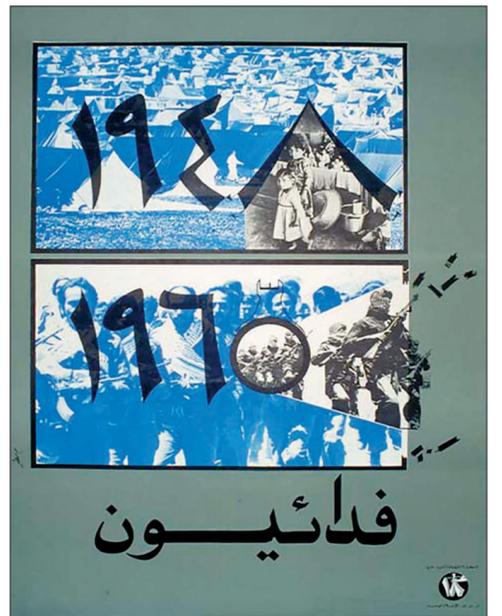
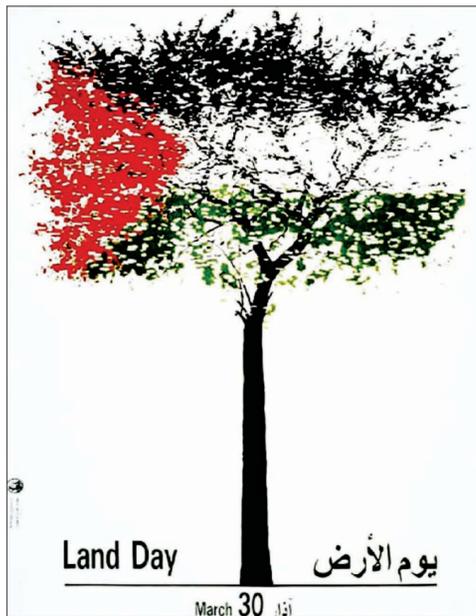
arabi.assafir.com

الزيد على موقع «السير العربي»  
- عفو رئاسي عن بعض المعتقلين في مصر: من يعفو عن من؟ - ربيع مصطفي  
- قمع الإعلام في موريتانيا: قصة «أذاعة صحراء ميديا» - المختار ولد محمد  
- تابعونا على «فايسبوك»: السير العربي - Assafir Arabi  
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

## .. بألف كلمة

ذاكرة  
الفلسطينيين  
في ملصقاتهم

برنامج «ذاكرة العالم» التابع لاونسكو يناقش طلب إدراج 1600 ملصق لفنانين فلسطينيين وعالميين، توثق حدثاً بعد آخر التاريخ السياسي للشعب الفلسطيني في الفترة ما بين الستينيات والتسعينيات. إسرائيل أقامت الدنيا ولم تقعدوا والمديرة العامة لاونسكو تعلن انها ستستخدم الفيتو لمنع إدراج الملصقات في أرشيف البرنامج.



## عن ثنائية الخير والشر

نعم لرمي الشيطان بالجمرات، بل وحتى رجمه بالصخر والحجر... وحتى فرقة جبال الهاماليا للحصول على عدد لا يحصى من الحصى والحجر عليها تكفي وتنفع للقضاء على الشيطان المقيم ها هناك. لا اعتقد أن الأمر يطرح أدنى مشكلة، بالنسبة لمن يقبل الأمور دون مساءلتها، ويقوم بطقوسه وهو مطمئن، لأنها تشكل إرثاً دينياً له... غير أن الأمر يطرح أكثر من سؤال بالنسبة لمن يبحث عن المعنى من الطقس وفائدته والهدف والمبتغى منه ومغزاه، فإذا كان عامة الناس لا يطرحون أدنى تساؤل، ولا يصرون بالضرورة على معرفة المغزى، فهناك جزء من المؤمنين والمسلمين ممن يريدون التعامل مع الشعائر بنوع من «الذكاء» الذي لا يفسد للود قضية ولإيمان قوة. (...) فليس كل من يتساءل هو بالضرورة كافر... من بين الأسئلة المطروحة والتي تبحث لها عن جواب، تلك المتعلقة بهوية الشيطان، وبمكان وجوده؟ فهل هو خارج عن عالمنا مقيم بيننا وبيننا؟ هل الشيطان هو بالضرورة عنوان الشر؟ إذا كان الأمر كذلك، ألا يمكن القول إننا كبشر نحمل في ثنايانا، وبشكل عادي ثنائية الخير والشر؟ ومن هنا ما علينا إلا البحث في ذاتنا وفي محيطنا، عما يجعلنا مجالين للخير أحيانا أكثر من الشر والعكس؟ ثم، ألا توجد منطقة وسطى بين الخير والشر؟ ألا يمكن القول إن الحرص، بوعي أو بدونه، لتحقيق نوع من التوازن داخل هذه الثنائية هو الذي يجعل الإنسان يتعامل بواقعية، ربما حماية لمصلحه المنوية، دون إفراط وتفريط؟ إذا كان الشيطان موجوداً هناك، حيث تتخذ عملية ريمه بالجمرات دلالة رمزية أكثر من شيء آخر، فما الذي يحفظ به يا ترى هذا المؤمن الذي أدى الشعيرة حين رجوعه؟ هل يفيد ذلك في تدبير الصراع داخل ثنائية الخير والشر؟  
من صفحة Latifa El Buhnsini (فايسبوك)

## عفو غير مكتمل

فعلآن نفسي أول بوست ببفأش نكد. مليش في النكد وجو الولولة عادة بتيجي معايا بغضب. بس المرة دي مختلفة. لو قلت إني مش فرحانة أبقى بحور. أنا مخضوضة وفرحانة. فرحة وسخة. فرحة فيها ذل. لأن مع كل تفصيلة بسيطة مش موجودة جوا زي إني أشرب شاي في كوباية قزاز أو أبيض للسا أو أرغي مع الناس براحتي أو أسك موبايلى... في إحساس بالذنب رهيب. سلوى لسا جوا سينها في العنبر لوحدها عشان غلطة إملانية كنا فاكريتها هنتصلح على طول. سلوى بقالها 3 أيام (في العيد) مقفول عليها لوحدها وأكيد دماغها بتسوحها. ناهد وكالوشة وممدوح وعم مؤمن كمان لسا جوا، بس على الأقل مغيش حد منهم أعد لوحده وموقفهم واضح هيخرجوا بس مسالة وقت. مش زي سلوى متعلقة ومش عارفين. بعد ما خرجت اكتشفت بالصدفة إن أنا كمان اسمي اكتب غلط في الجريدة الرسمية. بس عادي خرجت من غير أي حوارات. ليه؟ عشان النمرة محتاجة «الناشطة سناء سيف» تولع الإجراءات بس سلوى عادي لو اتكرنت كام يوم تعدي. على فكرة التفرقة مش من عند «العرو...» لا دي فينا أصلا ودا اللي كسرني. وكل حد طالع بيا السما وجدة والهرى دا أبوس إيديكو افضلوا: أنا سبت سلوى لوحدها في العنبر وخرجت.  
من صفحة Sanaa Seif (فايسبوك)

## مدونات

## الفدائي اليوم

قبل عشرين عاماً تقريباً، كنت أفق وصديقي على شرفة نقابة المهندسين وسط رام الله تنفوخ بنشوة على الفدائيين المسلحين وهم يعيطون على قلوب الناس من مركبة فضائية اسمها (أوسلو). كنا نكي فرحاً بصمت من دون أن ننيس بأية دمة، فهي المرة الأولى التي نرى فيها فدائياً فلسطينياً يتجول مسلحاً بحرية في مدينة فلسطينية وسط آلاف الناس الدهوليين التحمسين والباكين. ما زلت أتذكر وجه الفدائي العشريتي الأول الذي دخل رام الله، كانت عيناه مليئتين بالدموع وهو يعانق كل شخص يراه في طريقه، وحين عانق الشجرة أمامه، أغشى عليه تأثيراً على الأيدي الأربعة التي كانت تنكئ على حديد الشرفة، وكان من السهل رؤية أربع أياد متدللة كقتلى هادئين في ظهيرة رام الله السعيدة. الآن، تماماً الآن، أفق على شرفة النقابة ذاتها، أبكي وحدي بصوت واضح ويدموع صريحة ومن دون صديقي الذي ذهب بعيداً. كنت أتفرج على الفدائي ذاته وقد صار أربعينياً وهو يبيع الذرة المنقرطة، بوجه متعرق وبيدين متهدلتين، وظهر مقوس ومن دون بندقية طبعاً. أهبط الآن درج النقابة، أخرج إلى الشارع، أقترن من الفدائي القديم، أطلب عليه ذرة، يمد الفدائي القديم لي يده وهي تحمل اللبنة، أهم برفغ يدي لأخذ اللبنة، ألقاها بأي بلا يدين، أشعر بالفزع، أصرخ، أسقط على الأرض، يتكوم الناس حولي، مذهولين، ولا أدري كيف أنظر إلى الشرفة لألقاها بيدي الأختين المفقودتين متدللتين على الشرفة تنزقان ذرة.  
من صفحة زياد خداش (فايسبوك)